

يا عمال العالم، اتحدوا!

تتفيذية الأهمية الشيوعية
المكتب السياسي

فرار في حركة انتفاضة البلاد العربية

16 تشرين الأول 1929، مقتطفات

المراسلات الصحفية الأهمية، السنة 10، العدد 11، الصفحة 258، 31 كانون الثاني 1930.

ترجمة

محمد علي العربي

نشر المنشور البلشفي العربي

نونبر، كانون الثاني 2012

العنوان الأصلي للنص:

RESOLUTION OF THE E.C.C.I. POLITICAL SECRETARIAT ON
THE INSURRECTION MOVEMENT IN ARABISTAN

Inprekorr, x, 11, p. 258, 31 January 1930

لقد أكدت انتفاضة الجماهير العربية في فلسطين ومجمل الأحداث في البلاد العربية، على نحو كامل، صحة التحليل التي قدّمها المؤتمر الشيوعي العالمي السادس وتلك التي قدّمها تنفيذية الأمانة الشيوعية في اجتماعها العاشر الموسع، فيما تعلق باحتداد الصراع بين الإمبريالية والجماهير الكادحة في البلدان المستعمرة وفي ما تعلق بالوجة الجديدة من حركات التحرر الوطني في المستعمرات وشبه المستعمرات وفي ما تعلق بتطور الحكومة «العالمية» البريطانية وفي ما تعلق بتحوّل الأمانة الثانية إلى أمانة اشتراكية-فاشية واشتراكية-إمبريالية مكشوفة.

إنّ تفكك العرب القومي، وطابع التشتت في البلاد العربية، وإبقائها مقسّمة إلى عدد كبير من البلدان الصغيرة، وتقاسمها بين بعض القوى الكبرى، وانعدام الحقوق السياسية للسكان المحليين، والاستيطان الصهيوني بالقوة، واستخدام الإمبرياليين الفرنسيّة والبريطانية القوة، أكثر فأكثر، ضدّ البلدان العربية، - كل ذلك يمثل جملة من الأسباب التي هيأت الانتفاضة.

وهناك جملة أخرى من الأسباب هيأت الأحداث في فلسطين وتمثّل في سرقة أراضي الفلاحين العرب لصالح الاستيطان الصهيوني (وغالبا ما كان ذلك بالتنسيق مع كبار مالكي الأرض العرب) وكبار المالكين العقاريين العرب والرأسماليين الأجانب، وفي التّشديد في استغلال الفلاحين بالقروض والضرائب المرتفعة ونموّ الرّبا، وفي نموّ الاقتصاد البضاعي والتّقدي نموّا سريعا والتّمايز الطبقي السريع نسبيا في قبائل البدو.

لقد تسارع نضج الأزمة الثورية بفعل نموّ البطالة، والحصول الرديء في عام 1928، والتّحرّكات في البلدان العربية، وحلّ البرلمان السوري، وأزمة الحكومة العراقية، والمظاهرات والإضرابات العالمية في فلسطين وسوريا، والاتفاقيّة الإنجليزيّة-المصريّة الجديدة، واقتراب هجوم الصهيونية التي نزعّت قناعها الاشتراكي لتظهر كوكيل مكشوف للرأسمالية (مثلا أظهر ذلك قرار المؤتمر الصهيوني في زيورخ في تموز

طابع الحركة

فيما يلي الخطوط المميّزة للحركة:

1. تمثل الانتفاضة الفلسطينية، التي تقوم في مرحلة تحركات ثورية في أكبر المراكز الصناعية في الهند وأزمة الثورة المضادة في الصين وصعود موجة في الحركة العالمية الثورية في الغرب، بداية موجة كبيرة في حركات التحرر الثورية في البلدان العربية؛

2. تنتشر هذه الحركة في كامل البلاد العربية ولها طابع وطني عميق. إنها تمتد بأقصى سرعة إلى البلدان العربية الأخرى؛

3. تتغير الحركة بسرعة وتبلغ مستوى أكثر ارتفاعا. فإذا كان قد نجح رجال الدين والإقطاعيون الذين اتحدوا في «المجلس الإسلامي»، في قيادة الحركة في طريق صدام يهودي عربي، في الأيام الأولى، فإن الجماهير انقلبت، فيما بعد، ضد مفتي القدس وضد «المجلس الإسلامي» وضد ممثلي اللجنة التنفيذية العربية فاضحة خيانتهم وخضوعهم للإمبريالية.

إن الحركة آخذة في الانتقال، بسرعة كبيرة، من نزاع عربي صهيوني إلى حركة وطنية فلاحية تشارك فيها أيضا البرجوازية الصغيرة الحضرية. إن الفلاحين والبدو هم المشاركون الأكثر نشاطا في حركة الانتفاضة؛

4. لقد بقي جزء من الطبقة العاليتة دون تحرك. ولم تتحرك الطبقة العاليتة في أي حالة على نحو مستقل، ولم يكن لها أن تكتسب الهيمنة في الحركة.

سقط جزء من العمال اليهود والعرب في حماية برجوازية «هم»، وانخرطوا في النزاع القومي-الديني تحت هيمنة برجوازية «هم» وقيادتها. لكننا رأينا حالات مفردة من المظاهر البطولية في التضامن الطبقي العمالي بين العمال العرب والعمال اليهود.

وهكذا، رغم أن حركة الانتفاضة كانت ردًا على الاستفزاز الإنجليزي-الصهيوني، والذي سعى الرجعيون العرب (رجال الدين والإقطاعيون) إلى توجيهه نحو مذبح، ورغم أن تلك الحركة قد سارت تحت قيادة رجعية، فإن ذلك لم يمنعها من تكون

حركة تحرّر وطني، حركة معادية للإمبريالية، وأن تكون حركة فلاحية خاصة من جهة تركيبها الاجتماعية.

6. لقد أظهرت الحركة تعميق التناقضات بين الإمبرياليين الفرنسيّة والبريطانية في صراعها على مناطق النفوذ في الشرق الأوسط ❁

طابع الثورة في البلاد العربيّة والقوى القائدة فيها

لقد مرّ موقف الأُمّة الشيوعيّة في ما يتعلّق بطابع الثورة وقواها الأساسيّة في فلسطين وفي مجمل البلاد العربيّة باختبار الحركة الثوريّة وتأكّد من خلال تجربة الجماهير.

إنّ محتوى الثورة الأساسي الاجتماعي والاقتصادي هو الإطاحة بالإمبريالية، والتوحيد القومي لكلّ البلدان العربيّة، والثورة الزراعيّة، وحلّ القضية القومية. إنّ ذلك يمكننا من تحديد طابع الثورة على أنّه طابع ديمقراطي-برجوازي بالمعنى اللينيني للكلمة.

إنّ القوى القائدة الرئيسيّة في الثورة هي الطبقة العماليّة والفلاحون. لا يمكن للثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة أن تبلغ مداها إلّا من خلال النضال الثوري ضدّ البرجوازيّة.

ومما لا شكّ فيه أنّ هذه الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة ستحوّل إلى ثورة اشتراكية. لكنّ الأطروحة التي يقدّمها البعض ومفادها أنّ طابع الثورة في الظروف نراها في فلسطين هو طابع عمالي إنّما هي أطروحة لا تطابق الواقع التاريخي أبداً، وتعكس المذهب التروتسكي في الثورة الدائمة، وهي تعني، كذلك، قبل كلّ شيء، وفي الظروف الملموسة في فلسطين، دكتاتوريّة مجموعة صغيرة من العمال اليهود على جماهير السكّان العرب الواسعة ❁

دور مختلف الطبقات في الحركة

لقد قامت البرجوازية الصهيونية الاستعمارية وأذناها بدور الوكيل، المحض والخالص، للإمبريالية الإنجليزية. وقد وانظّم البوعلي تسيون، الجناح «اليساري» الصهيوني مع الفاشيين اليهود إلى الإمبريالية الإنجليزية والبرجوازية الصهيونية.

منذ زمن طويل خضع للإمبريالية الإنجليزية من العرب كبار مالكي الأرض والأسياد الإقطاعيون وذوى المراتب الدينية العليا الذين تآلفوا في «المجلس الإسلامي» وأصبحوا يلعبون دور الحيانة والاستفزاز ومعاداة الثورة.

لم يلعب «المؤتمر القومي العربي»، الذي كشف طابعه الإصلاحية بوضوح خلال هذه السنوات الأخيرة، أي دور مستقل في الحركة، بل التحق جناحه اليميني بمعسكر الإقطاعيين ورجال الدين الرجعي.

الفلاحون والبدو، بوجه خاص، هم القوى الأساسية والقائدة في الحركة. لكن الحركة الفلاحية لم تصادفها، في الوقت المناسب، نشاط طبقي منظم ومستقل من جهة الطبقة العمالية في المدن.

لقد كانت الحركة غير منتظمة ومشتتة.

لقد أظهرت حركة الانتفاضة العربية، بوضوح، بعض الخصائص الإيجابية وأيضاً ضعف الحزب الشيوعي في فلسطين.

1. لقد فاجأت الانتفاضة الحزب. ولما كان مؤلفاً من عناصر يهودية أساساً، لم تكن له صلة بمجمل الجماهير العربية، وهو يشكو، بوجه خاص، انعدام الصلة بالفلاحين.

لقد أظهرت الانتفاضة، عملياً، إلى أي حد كانت توجيهات تنفيذية الأمانة الشيوعية صحيحة في موضوع ضرورة تعريب الحزب. إن ما ظهر في الحزب الشيوعي في فلسطين من نقائص وأخطاء خلال الانتفاضة هي نتيجة فشله في تعريب الحزب من القمة إلى القاعدة بكل صرامة وحزم. في ما مضى لم يحسن الحزب استخدام

قواه ووسائله واكتفى بالتركيز على العمال اليهود أساسا في عمله عوض أن يركّز أقصى قواه ووسائله في العمل بين العمال وجماهير الفلاحين العرب. لقد فهم تعريب القيادة على أنه إضافة بعض الرفاق العرب إلى اللجنة المركزية إضافة آلية. ولم ينجح الحزب في تأليف منظمات صلبة في العمال العرب وفي النقابات العربية المحلية. وسادت فيه الريبة والشك في موضوع الإمكانات الخلاقة في العمل بين الفلاحين والبدو كما أدى في بعض الأحيان إلى ضرب من التشيع سلبي وإلى الانتقاص من أهمية الإمكانات الثورية في البلاد العربية وإلى المبالغة في أهمية تأثير البرجوازية الرجعية في الجماهير العربية.

2. حين كانت الحركة، خلال أولى أيامها، على الأخص، متأثرة بالأحداث في القدس والمدن الأخرى، لم يتمكّن الحزب من أن يرى النزاع الوطني الديني وقد شرع يأخذ منعرجا نحو عمل فلاحى وطنى معادى للإمبريالية عامّة. ونتيجة لذلك لم يستطع الحزب أن يدرج في شعاراته القضايا المتعلقة بالنزاع الأراضى، وتكوين لجان الفلاحين والبدو الثورية، والثورة الزراعية، وتوحيد القوى لكل البلدان العربية والتحرير على شعار «حكومة كل العمال والفلاحين العرب». إمّا إخفاقات يمكن تفسيرها بما كان في الحزب، في ما مضى، من ترددات انتهازية يمينية تتعلق بتلك القضايا. وأخفق الحزب في وضع شعار «تأليف طليعة عالية عربية يهودية» في الصدارة، وفي تسليح العمال، وفي القيام بمظاهرات مشتركة من العمال العرب واليهود، وفي إعلان إضراب عامّ مشترك. ولم يكن نقد دور السقّاح الذي تمارسه الحكومة «العالمية» الإنجليزية ملموسا حقّا، تماما مثلما كان عليه التقدر الثورى للأحزاب والمنظمات العربية واليهودية، وخاصة البوعلى تسيون وموقفه أثناء الانتفاضة.

يجب أن نلاحظ، في ذات الوقت، أنّ الحزب الشيوعى في فلسطين كان قد أظهر أنه منظمة عتيده من الثوريين الأوفياء والمهمّين بالجزء واجبه الثورى بشرف. وإذا قدّر ما للحزب الشيوعى في فلسطين من مستوى نظرى ووفاء للشيوعيّة، فمن المؤكّد أنّه سيرتقى أكثر ❁

مهمات الحزب

يجب على الحزب الشّيوعي في فلسطين وكلّ فروع الأُمّية الشّيوعية في البلدان العربيّة الأخرى أن تستلهم دروس الانتفاضة.

1. أكثر مهمات الحزب إلحاحا هي بذل جهد كبير وشجاع لتعريب الحزب من القمّة إلى القاعدة. وأن يبذل كلّ الجهد لتأليف نقابات عربيّة أو مختلطة عربيّة-يهوديّة، وأن يكسب الموجود منها ووسّعه.

2. يجب على الحزب أن يزيح كلّ ما يظهر في صفوفه من شكّ أو سلبية في ما يتعلّق بالفضيّة الفلاحية ممّا كان الثمن. ويجب عليه أن يصوغ برنامجا زراعيا يأخذ فيه مطالب الفلاحين والبدو الجزئية بعين الاعتبار.

3. يجب على الحزب أن يواصل عمله بين العمال اليهود المنظمين في النقابات الصهيونيّة-الإصلاحية وكذلك بين العمال غير المنظمين في النقابات. وكما في ما مضى، تبقى مهمّة فضح الصهيونيّة، وخاصّة جناحها اليساري، على أنّها وكيل في خدمة الإمبرياليّة، إحدى المهمات الجذريّة، ويجب استغلال دروس الحركة للبرهنة على ذلك.

4. يجب على الحزب أن يفضح « المجلس الإسلامي » على أنّه وكيل مباشر للإمبرياليّة الإنجليزيّة. وعليه أيضا، وليس بأقل صرامة، أن يفضح الوطنيّة-الإصلاحية المحسّدة في « المؤتمر القومي العربي »

5. يجب أن تكون الحملة للمقاطعة النّشيطة للجنة المكلفة بالتحقيق في الأحداث وتنظيم تلك المقاطعة بعون باقي فروع الأُمّية الشّيوعية في مركز اهتمام الحزب.

8. تبيّن دروس الانتفاضة، بوضوح، الحاجة إلى الصّلة الأكثر متانة بين الحزب الشّيوعي في فلسطين والأحزاب الشّيوعية في البلدان العربيّة ومصر. إنّ الشّكل الأكثر ملائمة سيكون فيدراليّة الأحزاب الشّيوعية في البلدان العربيّة. وشرط ذلك هو تعريب الحزبين الشّيوعيين في سوريا وفلسطين، وتقوية الأحزاب الشّيوعية في

فلسطين وسوريا ومصر، إلخ. ويجب أن يُعجز تعريب الحزب الشيوعي السوري نهائياً حتى نضمن أن الشيوعيين في سوريا، وبعد أن يتجاوزوا التصفوية والانتهازية، سيؤلفون حزبا شيوعياً مستقلاً.

9. لا يمكن أن تتحقق هذه المهام إلا إذا قام نضال صلب وحيوي ضد الانحراف اليميني في الحزب الذي قوي بفعل القمع والإرهاب الأبيض وحالة الهزيمة المؤقتة في الانتفاضة. يظهر الانحراف اليميني في الحزب الشيوعي في فلسطين من خلال الانتقاص من أهمية الإمكانيات الثورية، والتصدي لتعريب الحزب على نحو مكشوف أو مستتر، وعدم الاكتراث والسلبية في موضوع العمل بين الجماهير العربية، وتفاذي القضية الفلاحية والتظر إليها نظرة سلبية، وعدم فهم ما للرفاق اليهود من دور ثانوي وأنه ليس دوراً قيادياً للجماهير العربية، والمبالغة في أهمية تأثير البرجوازية الرجعية وكبار مالكي الأرض ورجال الدين في الجماهير العربية، والتظرة التوفيقية نحو الأخطاء الانتهازية، وعدم فهم الحاجة إلى نقد ذاتي قويم وشجاع في ما أرتكب من أخطاء، والميل إلى الهجرة دون إذن تنفيذية الأمانة الشيوعية فذلك يعد فراراً، والتصدي لشعار «حكومة العمال والفلاحين». إن تصوير الانتفاضة على أنها «مذبحة»، والتصدي للمقع لتعريبها من مظاهر التأثير الصهيوني والإمبريالي في الشيوعيين. واقتلاع هذه النظرة أمر جوهري للتطور اللاحق للحزب.

لقد كان لحركة الانتفاضة في البلاد العربية صدى عالمياً عظيماً: لقد اصطقت أحزاب الأمانة الثانية وقسم من البرجوازيين الصغار السلميين إلى جانب الإمبريالية الإنجليزية والصهيوتية، وانكشف الاشتراكيون الديمقراطيون «اليساريون» بوصفهم وكلاء الإمبريالية مثل باكستون؛ أما المنظمات الشيوعية والوطنيون الثوريون فقد اصطقوا إلى جانب الانتفاضة العربية.

ويجب أن نلاحظ في ذات الوقت أنه كانت هناك، في أولى مراحل الانتفاضة، ترددات وتشوش فيما يتعلق بطابع الانتفاضة في بعض البلدان (الفرع اليهودي في الحزب الشيوعي الأمريكي) كما في بعض الجرائد الشيوعية (حتى في الاتحاد السوفيتي). لقد تجاوزتها فروع الأمانة الشيوعية بسرعة ❁

